

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فتتناول هذه الورقة البحثية تاريخ نفقات ولائم هارون الرشيد التي أسميتها " التاريخ المفيد في حقائق نفقات ولائم هارون الرشيد "، وقصد الباحث بالمصطلحات التي وردت في عنوان البحث، حيث قصد الباحث من مصطلح التاريخ عرض الأحداث التاريخية التي شملت أخبار الخليفة هارون الرشيد، ومصطلح المفيد، أخذ الروايات المفيدة فقط، والصحيحة غير المشوهة، وقصد بمصطلح حقائق: كل نص ورد في البحث: حقيقة تاريخية ثابتة أثبتها الباحث من مصادر معتمدة في التاريخ الإسلامي، وقصد من مصطلح نفقات، ما صرفه الخليفة هارون الرشيد على تلك الولائم، أي أن كل مصطلح جاء في العنوان جاء مختاراً بعناية شديدة، ويهدف البحث من هذه الدراسة إلى توضيح كرم الخليفة هارون الرشيد وجوده، وإبراز الدور الاجتماعي الذي وضعه الخليفة هارون الرشيد من قضية إطعام الطعام أيضاً، ويهدف البحث إلى توضيح أعداد النفقات في تلك الولائم التي أقيمت في خلافة الخليفة هارون الرشيد، ويهدف البحث أيضاً إلى معرفة العوامل التي جعلت من الخليفة هارون الرشيد على قدر عالٍ من الكرم والجود والسخاء، وأما المنهج الذي اتبعه الباحث في كتابة هذا البحث فهو منهج تتبع الروايات التاريخية والاستشفاف منها ما ورد في البحث، منهج البحث والتقصي للروايات التاريخية التي لا تشوبها السياسة، وكذلك منهج التحليل والمقارنة التاريخية؛ لإظهار الحقائق التاريخية غير المشوهة، وقد قسم الباحث هذه الورقة البحثية إلى ثلاثة محاور، فعُني المحور الأول بنبذة مختصرة عن حياة الخليفة هارون الرشيد، وتضمن سيرته الذاتية المختصرة، وكذلك تم توضيح الجذور التاريخية لجود وسخاء وكرم الخليفة هارون

الرشيد ، وتطرق المحور الثاني إلى ولائم الخليفة هارون الرشيد في الأعراس ، وتم في هذا المحور سرد الولايم ونفقاتها من المصادر المعتمدة في التاريخ الإسلامي ، وشرح المحور الثالث ولائم الخليفة هارون الرشيد في الضيافات التي جاءت بها أهم مصادر التاريخ الإسلامي المتبعة للخليفة هارون الرشيد ، ثم دَيَّل الباحث الورقة بخاتمة والتي أوضح فيها أهم نتائج البحث ، وقائمة المصادر والمراجع التي استقت منها المادة العلمية .

المحور الأول : جود وسخاء الخليفة هارون الرشيد

هو أمير المؤمنين، أبو جعفر هارون الرشيد، ابن محمد المهدي، ابن أبي جعفر المنصور الهاشمي العباسي ، خامس خلفاء بني العباس. أمه الخيزران⁽¹⁾ ، وهي أم أخيه الهادي، وكانت أم ولد . وليّ الخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه الهادي ، وهي ليلة الجمعة ، منتصف ربيع الأول من سنة سبعين ومائة⁽²⁾ ، وبضيف السيوطي : هذه الليلة ولد له فيها عبد الله المأمون ، ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة ، وقام خليفة ، وولد خليفة إلا هذه الليلة⁽³⁾ ، وكان عمره حين ولي اثنتين وعشرين سنة ؛ لأن مولده بالري⁽⁴⁾ لمّا كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان⁽¹⁾

⁽¹⁾الخيزران: مولدة المهدي وحبيبته، وأم ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد. ورزقت من سعادة الدنيا ما لا يوصف، كان مغلها في السنة مئتي ألف وستين ألفاً. السيوطي. جلال الدين، المستطرف من أخبار الجوّاري، تح: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، (د.ط.)، (د.ت.)، ص 17.

⁽²⁾ ابن وادران . حسين محمد ، تاريخ العباسيين ، تح : المنجي الكعبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1993م ، ص 69 .

⁽³⁾ السيوطي . جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ، تح : قاسم الشماعي الرفاعي وآخرون ، دار الأرقم ، بيروت ، (د.ط.) ، (د.ت.) ، ص 225.

⁽⁴⁾الري: كورة معروفة تنسب إلى الجبل وليست منه ، بل هي أقرب إلى خراسان، وهي بقرب دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان. ولما فتح نعيم بن مقرن الري خرب مدينتها القديمة، وهي التي يقال لها العتيقة، وبنى الري الحديثة. وهي مدينة ليس بعد بغداد في المشرق مدينة أعمر منها إلا نيسابور ، فإنها أكبر منها عرضة وأوسع رقعة، فأما اشتباك البناء وكثر العمارة فالري أعمر من نيسابور، ومقدار الري فرسخ في مثله، ويخترقها نهر يقال له رودة، وقدام المسجد الجامع قلعة الري على قبة الجبل صعبة المرتقى متكائدة المطلع، فإذا صرت فيها اطلعت على طسّوج الري كلها، وأبواب الري باب باطاق يخرج منه إلى الجبال والعراق، وباب بليستان يخرج

في سنة ثمان وأربعين ومائة . وكان المهدي عقد لابنه الهادي ، والرشيدي بولاية العهد من بعده . وأول من بايع الرشيدي يحيى بن خالد البرمكي (2) (3) .

مات الرشيدي في الغزو بطوس (4) من خراسان ، ودفن بها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وله خمس وأربعون سنة (5)، وصلى عليه ابنه صالح (6) .
وأما جوده وسخاؤه فقد ساق إلينا صاحب كتاب الإمامة والسياسة ، قصة الأعرابي

منه إلى قزوين، وباب كوهك يخرج منه إلى طبرستان، وباب هشام يخرج منه إلى قومس، وباب خراسان يخرج منه = إلى قم. وزى أهلها زي العراق ولهم دهاء وتجارات ... وافتتحها قرطبة بن كعب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب . الحميري . محمد بن عبد المنعم ، كتاب الرّوض المغطار في خير الأقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام) ، تح : إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م ، ص 278 - 279.

(1) خراسان : بلاد واسعة، أول حدودها ما يلي العراق أزاوار قصبه جوبين وبيهق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزته وسجستان وكرمان... وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو .. وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحاً، ونذكر ما يعرف من ذلك في مواضعها، وذلك في سنة: (31هـ/ 651 م) في أيام عثمان [بن عفان] رضي الله عنه بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز. الحموي ، معجم البلدان ، تح : فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) ، ج 2 ، ص 401 .

(2) يحيى بن خالد بن برمك : أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد وكان جدهم برمك من مجوس بلخ، وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران ، واشتهر برمك المذكور وبنوه بسدانة، وكان برمك عظيم المقدار عندهم ، ابن خلكان. أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د. ط) ، (د. ت) ، ج 6، ص 219.

(3) ابن وادرن . حسين محمد ، تاريخ العباسيين ، تح : المنجي الكعبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1993م ، ص 69.

(4) طوس : وهي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرين فرسخاً تشتمل على بلدين يقال لإحدهما الطابران ولأخرى نوفان ولهما أكثر من ألف قرية فتحت في أيام عثمان لن عفان رضي الله عنه ، و بها قبر علي بن موسى الرضا وبها أيضاً قبر هارون الرشيد . الحموي . ياقوت ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 55 . 56 .

(5) وفي البعقوبي " فنزل قرية يقال لها سناباد وهو شديد العلة ، وتوفي مستهل جمادى الأولى سنة 193 هـ ، وهو ابن ست وأربعون سنة " . اليعقوبي . أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1999م ، ج 2 ، ص 302 .

(6) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 233.

وهو يكلم جعفر بن يحيى : " أرحني من هذا ، وأمر له بما سأل من الحملان ، وما أراد به من ثياب المهنة والجمال ، وأغدق عليه من التحف والطرائف ما ترضيه به ، وأخرجه عني ؛ فخرج جعفر ، فأمر له بما سأل وأعطاه ما أراد . ثم انصرف الأعرابي راجعاً إلى الحجاز بأموال عظيمة ، لا توصف أكثرها ، ولا يعرف أقلها ، وكل هذا يقلّ عندما عرف جود الرشيد وسخاؤه ، وجزيل عطائه " (1) ، وذكر ابن عساكر عن معاوية الضرير قال : " أكلت مع الرشيد هارون طعاما يوما ، فصبّ على يدي رجل لا أعرفه ، فقال الرشيد : يا أبا معاوية ، هل تدري من يصب على يدك ؟ قلت : لا ، قال : أنا ، قلت : أنت يا أمير المؤمنين قال : نعم ، إجلالاً للعلم " (2) ويتضح للباحث من النص السابق أن الرشيد ذا ضيافاتٍ كثيرة ، ولها جذور تاريخية في حياته ، أهمها أنه مؤدب على حبه للكرم والجود ، وكذلك تقديره واحترامه لأهل العلم .

وذكر أيضا السيوطي: " كان الرشيد يفتني آثار جده أبي جعفر، إلا في الحرص، فإنه لم ير خليفة قبله أعطى منه : أعطى مرّة سفيان بن عيينة مائة ألف، وأجاز إسحاق الموصلي مرّة بمائتي ألف، وأجاز مروان بن أبي حفصة مرّة على قصيدة خمسة آلاف دينار **وخلعة**، وفرسا من مراكبه ، وعشرة من رقيق الروم " (3) ، والواضح من النص السابق أن الخليفة هارون الرشيد يريد المحافظة على مستوى الكرم في عائلته، لهذا نراه يفتني آثار جده أبي جعفر المنصور ، ويذكر صاحب كتاب الفخري أنه : " كان يتشبه في أفعاله بالمنصور إلا في بذل المال ، فإنه لم ير خليفة أسمح منه بالمال " (4) ، ويتضح مما سبق أنه فاق جده أبا جعفر المنصور في الجود والكرم ، حيث كان

(1) للمزيد عن قصة هذا الأعرابي ينظر: ابن قتيبة الدينوري .أبي محمد عبد الله بن مسلم ، الإمامة والسياسة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1997م ، ص337.336 .

(2) ابن عساكر .أبي القاسم علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت(د . ط) 2001م ، ج 73 ، ص294.

(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص226.

(4) ابن طباطبا . محمد بن علي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، (د . ط) ، 1962م ، ص155.

كان " يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم (1) " (2) ، ويختم الباحث هذه العجالة بما قاله جلال الدين السيوطي عن الخليفة هارون الرشيد : " كانت أيام الرشيد كلها خير، كأنها من حُسنها أعراس " (3) فيكتفي الباحث بهذا المختصر المفيد والواضح عن جود وسخائه الخليفة هارون الرشيد .

المحور الثاني : نفقات ولاثم الخليفة هارون الرشيد في الأعراس

لقد رصدت لنا مصادر التاريخ الإسلامي العديد من الروايات التي جاءت ترصد النفقات التي دفعها الخليفة هارون الرشيد في الأعراس ، حيث أورد لنا ابن الزبير وفصل في نفقات زواج الخليفة هارون الرشيد وإعداد الوليمة ، فقد أخبرنا بذلك فقال: " ولما دخل الرشيدُ بالله بزوجته زُبيدة (4) أم جعفر ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور بالله . في قصره المعروف بالخُد (5) ببغداد، في سنة خمس وستين ومائة

(1) الدرهم : في اللغة اسم لما ضرب من الفضة على شكل مخصوص، وهو وحدة نقدية من مسكوكات الفضة ، معلومة الوزن وأصل الدرهم كلمة أجمية عربية عن اليونانية ، وهي كلمة (دَرَاخِمًا)، يقابلها (درهم) وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ، فقال تعالى ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ . يوسف : 20 .

ومقدار الدرهم . الدرهم عند الحنفية : (3.120) جرامًا تقريبًا، والدرهم عند الجمهور : (2.975) جرامًا تقريبًا. جمعة .علي، المكايل والموازين الشرعية، القدس للنشر والإعلان، القاهرة، ط 2، 2004 م ،ص 19.

(2) الروحي . أبوالحسن ، بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء ، تح : عماد أحمد هلال وآخرين ، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، (د . ط) ، 2004م ، ص 219.

(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 227.

(4) زُبيدة : أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حَجَّها وما اعتمدهت في طريقها مشهور فلا حاجة إلى شرحها... وكانت وفاتها في سنة ست عشرة ومائتين في جمادى الأولى ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة ست وثمانين ومائة. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج 2 ، ص 314-317 .

(5) الخُد : قصر بناه المنصور أمير المؤمنين ببغداد بعد فراغه من مدينته على شاطئ دجلة في سنة 159 للهجرة ، وكان موضع البيمارستان العضدي اليوم أو جنوبيه ، وبنيت حواليه منازل فصارت محلة كبيرة عرفت بالخلد ، والأصل فيها القصر المذكور ، وكان موضع الخلد قديما ديرا فيه راهب ، وإنما اختار المنصور =

781م، وكان أبوه المهدي بالله زوجه بها، وهي ابنة أخيه، وبنت عمّ هارون الرشيد ، استعد لها ما لم يستعدّ لامرأة قبلها من الآلة ، وأصناف الجواهر، والحلي ، والتيجان والأكاليل، وقباب الفضة والذهب ، والطيب ، والكسوة ، والخدم ، والصوائف، وأعطائها بدنة عبدة " ابنة عبد الله بن معاوية امرأة هشام بن عبد الملك ، ولم يُر في الإسلام مثلاً ومثلُ الحبّ الذي كان فيها " (1). " ولا يعرف قيمتها عظما . وكان في ظهرها وصدورها خطان من الياقوت الأحمر، وباقيها من الدر الكبار الذي ليس مثله ، وحشر الناس من الآفاق وفرّق فيهم من الأموال أمراً عظيماً، وكانت الدنانير (2) ونوافج المسك وجماجم العنبر في بواطي الزجاج ، ويفرّق ذلك على الناس ، ويخلع (3) عليهم خلع الوشي (4) المنسوجة بالذهب ، وأوقد بين يديه في تلك الليلة شمع العنبر في أتوار

= نزوله وبنى قصره فيه لعله التوقّ ، وكان عذبا طيب الهواء لأنه أشرف المواضع التي ببغداد كلها . الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 437 .

(1) ابن الزبير . الرشيد ، كتاب الذخائر والتحف ، تح : محمد حميد الله، التراث العربي، الكويت ، (د.ط) ، 1959م ، ص 91 . 92.

(2) الدينار : الجمع دنانير نوع من النقود الذهبية زنة الواحد منها 20 قيراطا = 72 حبة = 4.25 جراماً . نجم . زين العابدين شمس الدين ، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، الزهراء كمبيوتر سنتر ، القاهرة ، ط 1 ، 2006 م ، ص 250 .

(3) الخُلعة : بالكسر: ما يُخلع على الإنسان من الثياب؛ طرح عليه أو لم يُطرح، وكل ثوب تخلعه عنك خُلعة؛ وإذا قيل خلع فلان على فلان كان معناه أعطاه ثوباً، واستفيد معنى العطاء من هذه اللفظة .

والخلعة : ما يخلعه الخليفة أو الأمير أو الملك على أحد الناس من الثياب الفاخرة، وفي الغالب يتألف هذا اللباس من جبة مطرزة وعمامة وطيلسان وسيف ، إضافة إلى البدر جمع بدرة والدنانير في العصر المملوكي ، ولقد كانت عادة الخلع متبعة عند القدماء المصريين، وكذلك كانت عند الفرس، وأول من خلع الخلعة في الإسلام النبي ﷺ ، عندما خلع بردته على كعب بن زهير، وقد سار الخلفاء من بعده على نهجه.

وكانت الخلع في العصر العباسي غالبا ما تشمل على عمامة وشّي مذهبة وغلالة ومبطنّة ودراعة دبيقية ، ولقد تنوعت الخلع أيام العباسيين، وكانت تختلف قيمتها بالنسبة لمن تخلع عليه كل حسب مركزه، ويقال إن الخليفة هارون الرشيد خلع لأول مرة على وزيره جعفر البرمكي في أول يوم تسلم فيه مهام الخلافة . إبراهيم . رجب عبد الجواد ، المعجم العربي لأسماء الملابس ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ط 2002، 1م ، ص 155.

(4) الوشي: من الثياب معروف والجمع وشاء ... الوشي معروف وهو يكون من كل لون ، قال الأسود بن يعفر:

الذهب . وأحضر نساء بني هاشم جميعا ، وكان يُدفع إلى كل واحدة منهن كيس فيه دنانير وكيس فيه دراهم ، وصينيةٌ كبيرة فضة فيها طيب ، ويُخلع عليها خلعة وشيٍ منقَلَةٌ . فلم يُر في الإسلام مثله ، وبلغت النفقة في هذا العرس من بيت مال الخاصة،سوى ما أنفق هارون من ماله خمسين ألف دينار " (1)

المحور الثالث : النفقات على ولائم الخليفة هارون الرشيد في الضيافات
نتيجة لتعود الخليفة هارون الرشيد على إطعام الطعام والمفاخرة به ، ومداومته على إطعام الضيوف في المواد المعدة لذلك ، فقد ذكر ابن الأثير وليمة بها الترف كبير : " صنع الرشيد يوماً طعاماً كثيراً وزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية فقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال :

عِشْ ما بَدَأَ لَكَ سَالِمًا في ظِلِّ شَاهِقَةِ القُصُورِ

فقال: أحسنت ، ثم قال: ماذا؟ فقال:

يسعى عليك بما اشتهدت لدى الرواح وفي البُكورِ

فقال: أحسنت ، ثم قال: ماذا؟ فقال:

فإذا النفوسُ تَقَعَّقَعَتْ في ظلِّ حشرجةِ الصُدُورِ

فهناك تعلمُ موقِنًا ما كنتَ إلا في غرورِ

فبكى الرشيد،وقال الفضل بن يحيى : بعث إليك أمير المؤمنين لتسرّه فحزنته فقال : دعه،فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا " (2)، ويستشف الباحث من النص السابق، أنه متعود على إعداد الموائد والولائم وتنويعها من كل صنف من كل لذ وطاب مع ندمائهم،مما وصل به هذا الحال إلى الغرور يتضح من طلبه من الشاعر أبي العتاهية

حَمَتَهَا رِمَاحَ الحِزْبِ حَتَّى تَهَوَّلَتْ بَزَاهِرِ نُورٍ مِثْلِ وِشْيِ النَّمَارِقِ

يعنى جميع ألوان الوشى. والشوى في اللون: خلط لون بلون... وشى الثوب وشيا وشية: حسنه. مطلوب . أحمد، معجم الملابس في لسان العرب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1995م ، ص 132.

(1) ابن الزبير . الرشيد ، كتاب الذخائر والتحف ، ص 92.

(2) ابن الأثير . أبي الحسن علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ط 3 ، 1998م ، ج 5 ، ص 358 .

وصف تلك الوليمة، لهذا طلب منه وصف تلك المائدة يريد من ذلك الوصف المفخرة ، لكن الشاعر أبا العتاهية وصفها في أبيات حقيقية مجردة من كل عاطفة ناحية الخليفة هارون الرشيد، ويريد إيصال رسالة له بأنه مغرور ، فذكر له تلك الأبيات التي تدخل القلب دون حاجز ، وبعد سماح الخليفة هارون الرشيد تلك الأبيات عرف أنه كان في غرور ، فقد غرته حياة الدنيا بملذاتها ، وشعر بأنه مغرور ، فجاءه الندم على ما فعل ، لهذا انهمر بالبكاء خوفاً من الله عز وجل .

والواضح من النص القادم أن الخليفة هارون الرشيد كان أكلواً ، حيث ذكر ابن وادرن قصة عن الطبيب جبريل بن بختيشوع ⁽¹⁾ التي تسببت كثرة الأكل في مرضه فقال : "كنت مع الرشيد بالرقعة ⁽²⁾ ومعه المأمون ومحمد الأمين ، وكان رجلاً كثير الأكل والشرب، فأكل في بعض الأيام أشياء خلط فيها، ودخل المستراح ، فغشي عليه فيه، وأخرج وقوى عليه الغشي حتى لم يشك غلماحه في موته، وحضر ابنه وشاع عند العامة والخاصة خبره وأرسل إلي فحضرت ، ومست عرقه ، فوجدت نبضا خفيفا ، . فقلت لهم : لم يمتم ، والصواب أن يحجم الساعة ، فأحضر الحجام " ⁽³⁾ .

⁽¹⁾ جبريل بن بختيشوع : ابن جورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري كان طبيبا حاذقا نبيلاً له تواليف في الطب ، وخدم الرشيد الخليفة ومن بعده وحل محل أبيه بختيشوع عند الخلفاء ، ونشأ في دولتهم وجبريل من أهل جنديسابور . القفطي . جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء ، تح : يوليوس ليبيرت ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2008م ، ص 132 .

⁽²⁾ الرقعة : وهي مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام ، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي ، طول الرقعة أربع وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، في الإقليم الرابع ، ويقال لها الرقعة البيضاء أرسل سعد بن أبي وقاص والي الكوفة في سنة 17 [هجري] جيشا عليه عياض بن غنم فقدم الجزيرة فبلغ أهل الرقعة خبره فقالوا : أنتم بين العراق والشام وقد استولى عليها المسلمون فما بقاؤكم مع هؤلاء ! فبعثوا عياض بن غنم في الصلح فقبله منهم . الحموي ، معجم البلدان ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 67 .

⁽³⁾ ابن وادرن ، تاريخ العباسيين ، ص 90 .

وذكر ابن الزبير : " لما عهد الرشيد إلى أولاده . محمد الأمين وعبد الله المأمون⁽¹⁾ ، والقاسم المؤتمن ، وجدد البيعة لنفسه ولهم ، وزوجهم ، أولم بالرقعة⁽²⁾ في سنة تسعين ومائة⁽³⁾ وليمة أنفق فيها ما لا يحصى كثرة " ⁽⁴⁾ . " وقال لفرج الخادم : يا أبا سليم ! ما أقيح ما نحن فيه ، نحن بين ظهراي هؤلاء القوم ، وإن كانوا فيما كانوا فيه ، فهم بنو عمنا ، ولنا مثل هذا الصنيع ، وقد أحببت أن أجمعهم _ يعني بني أمية _ رجالهم ونساءهم ، فقال له أبو سليم : ويرون نعمتك يا أمير المؤمنين ؟ قال : فأحصهم ووجه إليهم ، فوجه إلى بالس⁽⁵⁾ وإلى الزيتونة⁽⁶⁾ ، والرصافة⁽⁷⁾ وحصن مسلمة⁽¹⁾ ، وما حوله من منازل بني أمية

⁽¹⁾ وفي تاريخ الطبري : " وكان الرشيد عقد لابنه ولاية العهد يوم الخميس في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وسماه الأمين ، وضم إليه الشام والعراق في سنة خمس وسبعين ومائة ، ثم بايع لعبد الله المأمون بالرقعة في سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وولاه من حدّ همدان إلى آخر المشرق " . الطبري . أبي جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2001م ، ج 4 ، ص 650 ؛ وفي تاريخ الخلفاء أنه : " وكان الرشيد بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة خمس وسبعين ، ولقبه الأمين وله يومئذ خمس سنين ، لحرص أمه زبيدة على ذلك ، قال الذهبي : فكان هذا أول وهن جرى في دولة الإسلام من حيث الإمامة ، ثم بايع لابنه عبد الله من بعده الأمين في سنة اثنتين وثمانين ، ولقبه المأمون . السيوطي . ، تاريخ الخلفاء ، ص 229 .

⁽²⁾ وفي الأخبار الطوال أنه في الحج : " وحج الرشيد في ذلك العام بالناس ومعه ابنه محمد ، وعبد الله ، وكتب بينهما كتابا بولاية العهد لمحمد ، ومن بعده لعبد الله المأمون ، وعلق الكتاب في جوف الكعبة ، ثم انصرف إلى مدينة السلام " الدينوري . أبي حنيفة بن داود ، الأخبار الطوال ، تح : عبد المنعم عامر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (د . ط) ، 2010م ، ص 387 .

⁽³⁾ في كتاب تاريخ يعقوبي سنة 189هـ . يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، ج 2 ، ص 298 .

⁽⁴⁾ ابن الزبير . الرشيد ، كتاب الذخائر والتحف ، ص 95 .

⁽⁵⁾ بالس : على وزن فاعل ، من لفظ الذي قبله : بلد بالشام . البكري . أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم ، تح : جمال طلبية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1998م ، ج 1 ، ص 205 .

⁽⁶⁾ الزيتونة : موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام فلما عمّر الرصافة انتقل إليها فكانت منزله إلى أن مات . الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 138 .

⁽⁷⁾ الرصافة : مدينة سورية تاريخية عريقة ، تقع على نهر الفرات في محافظة الرقة ، على بعد حوالي 350 كم من دمشق وإلى الشمال الشرقي منها ، وتتصل بها وبغيرها من مدن البلاد بطرق مواصلات برية ممتدة .

فَجُمِعُوا ، وأمر بهم فضيفوا " (2) ، وذكر أيضاً ابن وادرن قصة عن أبي يوسف القاضي قال : " فلما خدمت الرشيد واختصت به قُدمت بحضرته يوماً جامات الوزينج (3) بفسدق مقشر ، فدعاني إليها " (4) ويظهر من النص أن هذه الأكلة فاخرة في حد ذاتها وغالية الثمن وخالصة القول في هذا المضمار أن الخليفة هارون الرشيد من أجود خلفاء بني العباس، لهذا نراه لم يُقصر في الولائم أو الضيافات التي كانت في خلافته .

الخاتمة

بعد ما يسر الله للباحث جمعه ورصده من المصادر التاريخية التي كَوّن بها الباحث هذا البحث ، وهو يتحدث عن جزئية مهمة في تاريخ الدولة العباسية ، وهي

دخلها الإسلام بعد دخوله الشام في الربع الأول من القرن الأول الهجري ، وسرعان ما اتخذها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك استراحة له ، وبنى فيها قصرًا عامرًا من القصور التي نبغ في بنائها الأمويون وقد سميت باسم ذلك الخليفة (رصافة هشام) الذي أحبها كثيرًا ، حتى وفاته عام 125 هـ / 724 م . وتمتاز المدينة بعيون مائها وأثارها وجوها النقي وأشجارها المثمرة ، قال الشاعر الفرزدق عنها :

إِلا تلتفتين وأنت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

متى تروي الرصافة تستريحي من الإتساع والجلم الدوامي

العفيفي. عبد الحكيم، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 2000م ، ص 254 .

(1) **حصن مسلمة** : بالجزيرة بين رأس عين والرقبة ، بناه مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، بينه وبين البليخ ميل ونصف ، وشرب أهله من مصنع فيه ، طوله مائتان في عرض مثله ، وعمقه نحو عشرين ذراعاً ، معقود بالحجارة ، وكان مسلمة قد أصلحه ، وماءه يجري فيه من البليخ في نهر مفرد في كل سنة مرة حتى يملأه فيكفي أهله بقية عامهم ، ويسقي هذا النهر بساتين حصن مسلمة ، وفوهته من البليخ على خمسة أميال . الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 301 .

(2) ابن الزبير . الرشيد ، كتاب الذخائر والتحف ، ص95.

(3) **الوزينج** : هو مكون رطل سكر فيسحق ناعماً . ويؤخذ ثلث رطل لوز مقشر فيسحق أيضاً ناعماً ، ويخلط مع السكر ويعجن بماء الورد . ثم يؤخذ من الخبز المرفق كخبز السنوسك ، وأن كان أرق فهو أجود ، فيبسط الرغيف من ذلك الخبز ويجعل عليه اللوز والسكر المعجون ، ثم يطوى كالسير ويقطع قطعاً صغاراً ويصف . ويخلع الشيرج الطري حسب الحاجة ، ويجعل عليه ، ثم يغمر بالجلاب الذي قد أضيف إليه ماء الورد وينثر عليه الفستق المدهون ناعماً . البغدادي . محمد بن الحسن بن محمد ، كتاب الطبيخ ، دار الكتاب الجديد ، دمشق ، ط 1 ، 1964م ، ص76.

(4) ابن وادرن ، تاريخ العباسيين ، ص 99 .

التاريخ المفيد في حقائق نفقات ولائم هارون الرشيد ، واستنبط الباحث من تلك الروايات أهم النتائج والاستنتاجات وهي :

*- يعد كرم الخليفة هارون الرشيد وجوده امتداداً لما تربي عليه من تربية إسلامية صحيحة من أسرته ، عندما كان طفلاً يافعاً ، لهذا لاحظناه أنه يحاول بقدر الإمكان أن يقتفي أجداده .

*- شهد التاريخ للرشيد: العديد من اللوائم في الدولة العباسية ، التي أنفق عليها آلاف الدنانير والدرهم من بيت مال المسلمين ، يصل إلى حد الغرور .

*- يحسب للخليفة هارون الرشيد اللوائم التي كانت تقام في بلاطه وإطعام آلاف من الرعية ، ويصل الأمر إلى البذخ ، بينما من زاوية أخرى نرى المجاعات والأمراض والأوبئة التي هزت الدولة العباسية ، وخلفت إخلالاً بالحياة الاجتماعية فيها .

*- أن خلافة الخليفة هارون الرشيد كانت في العصر الذهبي للدولة العباسية حتى وصل بأحد المؤرخين بوصفها بجملة صغيرة في الحجم وكبيرة في معناها " كانت أيام الرشيد كلها خير ، كأنها من حُسنها أعراس " .

*- حافظ الرشيد على الحياة الاجتماعية بما قدمه من إطعام الطعام لخاصته ، وللعامّة ، وأصبح هناك توادد ومحبة بين الخلافة والرعية .

*- ومن أهم الاستنتاجات في هذا البحث أن الخليفة هارون الرشيد حافظ على ترابط الحياة الاجتماعية بينه وبين جلسائه ، وبينه وبين العامة .

والحقيقة أن الخليفة هارون الرشيد كانت خلافته من أهم العصور في الدولة العباسية ، فقد كان يقدم العطايا والهدايا، ويصنع اللوائم؛ ليجعل من حوله يشاركه في الخيرات التي وهبها الله إليه وللعباسين . وبهذا أنهى الباحث بعون الله تعالى وتوفيقه البحث والتقصي والرصد " للتاريخ المفيد في حقائق نفقات ولائم الرشيد " ويرجو الله تعالى أيضاً أن يكون قد سد ولو القليل في هذا المضمار ؛ لأن هذه قدرته العلمية ، وينصح الباحث نفسه والباحثين في التاريخ الإسلامي أن يكتفوا الجهود ؛ لإظهار تلك الحقائق المطمورة في طيات المصادر التاريخية الأولى والله أعلم بالصواب .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- *- ابن الأثير . أبي الحسن علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، تح : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 3 ، 1998م .
- *- البغدادي . محمد بن الحسن بن محمد ، كتاب الطبخ ، دار الكتاب الجديد ، دمشق ، ط 1 ، 1964م .

- *- البكري . أبي عبيد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم ، تح : جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1998م .
- *- الحموي ، معجم البلدان ، تح : فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .
- *- الحميري . محمد بن عبد المنعم ، كتاب الرّوضُ المغطّار في خبر الأقطار (معجمَ جُغرافي معَ مسرد عام) ، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م .
- *- ابن خلكان .أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ط)، (د.ت) .
- *- الدينوري . أبو حنيفة بن داود ، الأخبار الطوال ، تح : عبد المنعم عامر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (د . ط) ، 2010م .
- *- الروحي . أبي الحسن ، بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء ، تح : عماد أحمد هلال وآخرون ، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، (د . ط) ، 2004م .
- *- ابن الزبير . الرشيد ، كتاب الذخائر والتحف ، تح : محمد حميد الله، التراث العربي، الكويت، (د.ط)، 1959م.
- *- السيوطي . جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ، تح : قاسم الشماعي الرفاعي وآخرون ، دار الأرقم ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .
- *- _____ ، المستطرف من أخبار الجوّاري، تح: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان ، المنصورة، (د.ط)، (د.ت) .
- *- ابن طباطبا . محمد بن علي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، (د . ط) ، 1962م .
- *- الطبري . أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2001م .
- *- ابن عساكر . أبو القاسم علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر ، بيروت ، (د . ط) ، 2001م .

- *- ابن قتيبة الدينوري . أبي محمد عبد الله بن مسلم ، الإمامة والسياسة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1997م .
- *- القفطي . جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء ، تح : يوليوس ليبيرت ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2008م .
- *- ابن وادرن . حسين محمد ، تاريخ العباسيين ، تح : المنجي الكعبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1993م .
- *- اليعقوبي . أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1999م .
- ثانياً: المرجع
- *- إبراهيم . رجب عبد الجواد ، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ، ط 2002،1م.
- *- العفيفي . عبد الحكيم، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 2000م .
- *- مطلوب . أحمد، معجم الملابس في لسان العرب، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1995م .
- *- نجم . زين العابدين شمس الدين ، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، الزهراء كمبيوتر سنتر ، القاهرة ، ط 1 ، 2006 م .